الدرس البلاغي الحديث .. الواقع والآفاق

« المرحلة الثانوية أنموذجا »

بقلم
أ/ البشير مناعي
قسم اللغة العربية وآدابها - معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي بالوادي

◆

ملخص :

لقد حرص القائمون على مناهج اللغة العربية في المدرسة الجزائرية على وضع لبنات حديثة للدرس البلاغي، تتلاءم مع توجهات المناهج المعاصرة التي تؤكّد على وجوب إرساء قواعد صحيحة وأسس متينة للمقاربة بالكفاءات ؛ منطلقهم في ذلك مبدءان : التيسير والنجاعة، غير أن ذلك لم يمنع من وجود ثغرات في هذا البناء . وقد انطلقنا في هذه المقاربة من كتاب السنة الثانية ثانوي - فرع الأدب والفلسفة - كأنموذج للدراسة .

Résumé :

Les experts qui l'ont établi les méthodologies de langue arabe dans les écoles Algériennes sont toujours éveillés à mettre des jalons modernes à la leçon rhétorique correspondant aux orientations des méthodologies contemporaines confirmant à la nécessité d'établir des règles correctes aux approches par compétences,en comptant sur deux principes : la facilitation et l'utilité . mais cela n'empêche plus d'existence de quelques lacunes en cette construction .

Cette approche se base sur le livre de deuxième année secondaire bronche : la littérature et la philosophie – comme un model d'étude .

توطئة :

إنّ البحث في الدرس البلاغي - تيسيرا وفاعليّة ونجاعة - في العصر الحديث لا زالت الدراسات بشأنه محدودة، إذا ما قورن بالبحث في الدرس النحوي ؛ ذلك أنّ اهتمام اللغويين في العصر الحديث اتّجه إلى دراسة علم الأسلوب بالإفادة من معطيات علم اللغة الحديث، فكان هو المستقطب لاهتمامات الباحثين، وانصبّت

جهود الدارسين على تتبّع ما يجدّ في الدراسات الغربية بشأن الأسلوبيّة، بيْد أنّ ذلك كان سببا في هجوم هؤلاء المهتمين على الدرس البلاغي التقليدي بما فيه من تعقيدات، بل إنّ الهجوم قد اكتسى طابعا أشمل، لتكون ثورتهم على البلاغة القديمة بصورة عامة والدعوة إلى بلاغة عصريّة تتناسب والدراسات النقديّة والأدبيّة.

ولسنا هنا بصدد تتبّع مسار البحث في قضيّة التعقيد في علم البلاغة وأسبابه لأنّ مجال الدراسة فيه واسع، ولا يزال الدارسون المهتمون يخوضون فيه، محاولين وضع أسس جديدة تتناسب والدراسات الأدبية الحديثة بغضّ النظر عن توجّهات هؤلاء الدارسين وأهدافهم ونواياهم، ولكننا نهدف إلى الدرس البلاغي بالبحث في أهميّة تيسيره ليكون أكثر نجاعة وفاعليّة بما يخدم هذا الدرس ويؤسّس لبناء تعليميّة بلاغيّة حديثة .

الدرس البلاغي الحديث والحاجة إلى التجديد :

إن الأزمة التي عاشتها البلاغة العربية كانت وليدة التحوّل الفكري والحضاري الذي عاشته الأمة العربية في عصر النهضة، حيث وجدت نفسها مطالبة بأن تواكب هذه النهضة بتحرير مناهج هذه العلوم من قوالبها الجامدة وأفقها المحدود، مثلما كان لزاما عليها التحرر من أساليب التعبير التي ميّزها التكلف والتصنّع والموروثة عن أجيال متلاحقة وأحقاب متتالية ؛ للوصول إلى أسلوب يجمع بين الدقة والجمال والأناقة .

وقد لقي الدرس البلاغي اهتماما من الباحثين في العصر الحديث، فسعوا إلى تقديم الجديد والثورة على القديم مكرّسين نظرة مفادها أن البلاغة القديمة بأساليبها التقليدية الخالية من روح العصر وطابعه .. هي سبب تخلفنا الفكري والأدبي(1).

لذلك نجد تشوّقا من الأدباء لكلّ جديد، ليس على مستوى الموضوعات فحسب، بل في الأساليب والألفاظ والعبارات والمنهج، إذ كانت المدرسة بلاغيّة والمنهج أدبيّا " هذا المنهج يقوم على تحكيم الذوق الخاص ويكوّن هذا الذوق عنصران ؛ أحدهما موهوب وهو الطبع، والآخر مكسوب وهو المران الفني "(2)

وقد انصبّت جهود المحدثين إلى البحث عن سبل التيسير في الدرس البلاغي، وإشكالية التيسير من أهم القضايا التي شغلت بال الدارسين القدامى والمحدثين على السواء، ولا ريب أنّ التعقيد لا يتعلّق بالدرس البلاغي باعتباره إطارا نظريّا الهدف منه تقديم القواعد للمتعلّم، وإنّما التعقيد يتعلّق بالمنهج والشرح

والاصطلاحات وفي اختيار الشواهد والنصوص . فالمتأمّل في كتب البلاغيين القدامى يستبين هذه التعقيدات، التي حاول البعض أن يتبرّأ منها ويتّهم بها البلاغيين الآخرين : فالقزويني مثلا يشير صراحة إلى تعقيدات بلاغة السكاكي فضلا عن الحشو والإطالة، كما يشيد بمنهجه الرامي إلى التيسير فيقول : " كان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنّفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي أعظم ما صنّف فيه من الكتب المشهورة نفعا، لكونها أحسنها ترتيبا، وأتمها تحريرا، وأكثرها للأصول جمعا، ولكنّه غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد، قابلا للاختصار، مفتقرا إلى الإيضاح والتجريد، ألّفتُ مختصرا يتضمّن ما فيه من القواعد، ويشتمل على ما يحتاج إليه من الأمثلة والشواهد، ولم آل جهدا في تحقيقه وتهذيبه، ورتّبته ترتيبا أقرب تناولا من ترتيبه، ولم أبالغ في اختصار لفظه تقريبا لتعاطيه، وطلبا لتسهيل فهمه على طالبيه "(3)، فهو يسعى إلى التيسير والتسهيل والإيضاح والتقريب .

وحتى لا نتّهم القدامى بالتعقيد والبعد عن سبل تيسير البلاغة وترغيب المتعلّمين فيها نرى أنّه من الواجب على الدارس أن يفرّق بين نوعين من أنواع البلاغة القديمة : البلاغة العلميّة والبلاغة التعليمية، فالعلميّة هي التي تعنى بصياغة القواعد وتفسيرها وتعليلها مع مراعاة التنظير والتفسير والوصف العلمي، وهذا النوع لا يراعى فيه التسهيل بقدر ما يراعى فيه التبصّر والوصول إلى الحقيقة، وهو الذي نجده عند السكاكي مثلا، وأمّا البلاغة التعليمية فهي التي تسعى إلى التبسيط في القواعد وتيسيرها وشرحها وتقديمها إلى المتعلّمين في ثوب مبسّط كما هو الحال عند القزويني (4).

كما أنّ دعاة التيسير(5) في علوم اللغة وخاصة في مجال النحو والصرف يؤكّدون على أنّ التبسيط لا يكون في الأسس النظريّة بل في المنهج والطريقة التي تقدّم بها هذه القواعد(6)، فالصعوبة التي يلحظها الدارس مكمنها دقّة تلك المسائل وجفاف أساليب البلاغيين وكثرة تقسيماتهم وتنوّع مصطلحاتهم .لذلك كان في أمسّ الحاجة إلى تجسيد التيسير في مظاهره المختلفة : في التلخيصات والشروح والمنهج وفي المصطلحات وفي الشواهد وغيرها .

أهداف الدرس البلاغي الحديث :

إنّ أهمّ مظهر من مظاهر التيسير والنجاعة التي ألحّ عليها المهتمّون بتعليمية البلاغة العربية هو ربطها بالنصوص الأدبية ؛ إذ إنّ الطريقة التقليدية المعتمدة على الفصل بين الدرس البلاغي ودرس الأدب، ومعالجته في حصص مستقلّة قد أثبت

الدارسون عدم نجاعتها، إذ زيادة على ما فيه من خطأ تربويّ فإنّ المتعلّم يشعر بأنّه شيء متكلّف بعيد عن الاتّجاه الذّوقي، بما لا يوافق بيداغوجيا الإدماج⁽⁷⁾ قرينة المقاربة بالكفاءات⁽⁸⁾، ولزام على المدرّس أن يحرص في تنشيطه لدرس البلاغة على التالي :⁽⁹⁾

1 ـ تبصير المتعلّمين بالأسس والأصول التي تقوم عليها بلاغة الكلام وجودة الأسلوب من حيث الجمال والقوّة والوضوح وروعة التصوير ودقة التفكير .

2 ـ تنمية الذوق الأدبي للمتعلّمين، وإرهاف أحاسيسهم وتمكينهم من فهم الأدب فهما دقيقا ومن إدراك سماته ومزاياه .

3 ـ تنمية الإحساس بقيمة اللفظ وأهمّيته في التعبير عن المعنى المناسب .

4 ـ محاولة المدرّس الوقوف عند جمالية اللفظ ودوره في ملاءمة المعاني .

5 ـ إدراك قيمة الأثر الأدبي في النفوس باكتشاف ضروب المهارة الفنيّة للأدباء وما يصوّره أدبهم من حالات نفسيّة وانفعالات .

6 ـ كما يحرص المدرّس على تمكين المتعلّمين من المفاضلة بين الأدباء ومن الموازنة بين الآثار الأدبية بعد أن يوضّح لهم أنّ الفكرة يمكن أن يعبَّر عنها بأساليب مختلفة، وأنّ اللاحق يمكن أن يأخذ عن السابق فيسمو عليه أو يدانيه .

قد كانت الغاية الكبرى من البلاغة هي السعي إلى الاهتداء إلى مواطن القوة والجمال في الأعمال الأدبية المدروسة، فهي ليست اصطلاحات وتعريفات وأمثلة ونماذج بعيدة عن السياق وإنما هي " الجمال الفني في الأدب ومجموعة المزايا التي تعرف بها الآثار الأدبية الراقية "⁽¹⁰⁾، كما أن البلاغة لن تكون حفظا لتلك القواعد التي تتضمنها بعلومها المختلفة البيان والمعاني والبديع : من استعارات مكنية وتصريحية، وأصلية وتبعية، وتشبيهات صريحة وضمنية، وتمثيلية وغير تمثيلية، ومن مسند ومسند إليه، وفصل ووصل، ومن سجع وجناس، وطباق ومقابلة وغيرها .

فالقواعد لن تكون هدفا في ذاتها لأن الغاية هي " معرفة ما أسهمت فيه هذه المعطيات البلاغية من إجادتها في العمل الفني وتحقيق مظاهر الروعة فيها والكشف عن مستوياتها الدلالية وأبعادها المختلفة "⁽¹¹⁾، أي أن الغاية الحقيقية من هذه القواعد هي حسن استعمالها وتوظيفها لتكون أقدر على توضيح المعنى وتوسيع الإيحاء وجمال التعبير وعمق التأثير .

ولعلّ التساؤل الذي يطرح نفسه على أولئك الذين يجرّدون الدرس البلاغي ويجعلونه مفاهيم نظريّة بعيدة عن النص الأدبي وتذوّقه، هو " أنّه مادامت للبلاغة علوم مقررة ومعارف واضحة وقواعد مفصّلة مقسومة، وقضايا محدودة مرسومة، فقد أصبح من السهل اليسير على كلّ من يجيد علمها، ويحذق فهمها أن يجيء بالبليغ من القول إذا نظم أو نثر، بل لتهيّأ له أن يجيء بأبلغ الكلام، بل بما ينتهي منه إلى حدود الإعجاز، وما له لا يصنع، وقواعد البلاغة تشير بأوضح الإشارة إليه، وتدلّ بأفصح العبارة عليه ؟

ماذا على المرء إذا أرسل الكلام أن يخرجه مطابقا لمقتضى الحال، ويجريه على أحكام الفصل والوصل، ولا ينحرف عن مقتضيات الإيجاز والإطناب والمساواة ؟ وهذه أحوال التشبيه بين يديه فما يمنع أن يصوغ الكلام على غرارها، ويرتسم فيه أجلى آثارها ؟ "(12) .

فالبلاغة بألوانها المختلفة وثيقة الصلة بدراسة النصوص الأدبية، ولا يمكن تحقيق الهدف المنشود من الدرس البلاغي وتجسيد نجاعته بمعزل عنها، ولا ريب أن القائمين على وضع البرامج الجديدة لمادة اللغة العربية في مراحلها التعليمية المختلفة ـ وخاصة الثانوية منها ـ قد حاولوا استدراك الأمر وسد النقص الذي وسم المناهج التقليدية بأن يجعلوا درس البلاغة خير معين للمتعلم على فهم الأدب وتذوق معانيه، وإدراك بعض خصائصه والوقوف على أسرار جماله .

غير أن قراءتنا للدرس البلاغي في المرحلة الثانوية تكشف عن نقائص وثغرات تؤكد الفجوة بين النص باعتباره عملا فنيا، والدرس البلاغي باعتباره وسيلة لبيان قيمة ذلك النص وحظه من الفن والجمال، وهذا ما سجّلناه في كتاب الجديد في الأدب والنصوص للسنة الثانية لشعبتي الآداب والفلسفة، الذي اخترناه كأنموذج للدراسة، كما تمّ الوقوف عند العديد من الملاحظات التي نراها جديرة بالمراجعة والاستدراك، ومنها :

1 ـ أن الدرس البلاغي ارتبط بالنصوص التواصلية التي عادة ما تكون نصا نثريا " الهدف منها إثراء معارف المتعلمين حول المظاهر التي تتناولها النصوص الأدبية ... فهي نصوص داعمة للنصوص الأدبية ورافدة لها "(13)، ولا ريب أن القيمة الجمالية لأي لون بلاغي تتجلى في الشعر أكثر منه في النثر .

فالدرس البلاغي الذي يؤكّد على كونه وسيلة للتذوّق قد همّش بهذه الطريقة ولم يؤدِّ دوره في تذوّق النص الأدبي والوقوف عند المواضع الجمالية التي نرى لزاما على المتعلّم الوقوف عندها . فالعلاقة بين الدرس البلاغي في شواهده

التي يُنطلق منها والنص التواصلي مبنية على أساس موضوعاتيّ، أي أنهما يشتركان في الفكرة المطروحة لا أكثر رغم أنه من الأولى أن يكون الشاهد جزءا من النص ذاته ليكون تواصل المتعلم مع اللون البلاغي أحكم وأقوى .

2 ـ نلاحظ اختلالا واضحا بين حظوظ كل فن من فنون البلاغة : المعاني والبيان والبديع في الكتاب المدرسي، إذ أن الملاحِظ لدروس البلاغة في كتاب السنة الثانية من المرحلة الثانوية يجد تباينا بينها من حيث حظوظ كلّ علم، وإليك ترتيبها كما وردت في المنهاج :

أ / بلاغة التشبيه والاستعارة والمجاز .
ب / أغراض الخبر والإنشاء .
ج / الاقتباس والتضمين .
د / القصر باعتبار الحقيقة والواقع .
هـ/ المساواة والإيجاز والإطناب .
و / التورية .
ز / تجاهل العارف .
ح / اللّفّ والنشر .
ط / حسن التعليل .
ي / مراعاة النظير .
ك / التقسيم .

فالبيان مثلا لم يكن حظه سوى الدرس الأوّل لا غير : بلاغة التشبيه والاستعارة والمجاز . أمّا دروس علم المعاني فهي ثلاث : أغراض الخبر والإنشاء، والقصر باعتبار الحقيقة والواقع، والمساواة والإيجاز والإطناب، وباقي الدروس هي من علم البديع . والأجدر أن يكون المتعلم ملمّا بجوانب متعددة من فنون البلاغة، لا أن يتم التركيز على فن واحد لأن ذلك يجعل معرفته مبتورة غير متزنة .

3 ـ ومما يؤكّد العشوائية في الاختيار والوضع هو عدم مراعاة طول الدرس وكثافته، فإن كان بالإمكان تغطية درس (القصر باعتبار الحقيقة والواقع) أو (التورية) مثلا في حصة دراسية واحدة حجمها الساعي ستون دقيقة على أقصى تقدير، فإنه يكاد يكون من المستحيل أن يتمّ تقديم درس (بلاغة التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل) في هذا الوقت القصير المحدود، زد على ذلك أنّ المتعلّم يظل في حاجة إلى التذكير بالقواعد النظرية لهذه الألوان البيانية، وهذا ما يوقع

المعلّم في حرج تقسيم الزمن بين النظري والتطبيقي، وتغطية جوانب الموضوع دون إقلال ولا إخلال .

4 ـ اختيار مجموعة من الدروس تتميّز بالغرابة والندرة، حتى على مستوى كتب البلاغيين الذين كتبوا في مجال البلاغة، زد على ذلك قلّة ورودها في النصوص الأدبية مما يجعلها ألوانا بلاغية هامشيّة، التلميذ في هذه المرحلة هو في غنى عنها، ومن تلك الدروس : تجاهل العارف، اللف والنشر، مراعاة النظير !!! .

5 ـ إن القائمين على وضع المنهاج يؤكدون على الربط بين دروس البلاغة والنصوص الأدبية غير أن الملاحظ هو أن بعض تلك الدروس لا صلة لها بالنص، كما هو الحال في درس (تجاهل العارف) و(التورية)وغيرهما ؛ إذ أنّ الأستاذ لا يضع يده على شاهد يكون منطلقا لدرسه البلاغي، وحتى ما نجده في بعضها لم يكن سوى رابط واهٍ لا صلة له بموضوع النص كما هو الحال في درس "حسن التعليل" والنص التواصلي : "خصائص شعر الطبيعة لعبد العزيز عتيق "(14).

6 ـ الافتقار إلى الدقة في توظيف المصطلحات، كالدرس الأوّل ـ مثلا ـ وهو (بلاغة التشبيه والاستعارة والمجاز)، إذ رغم أنّ المقصود بالمجاز هو المجاز المرسل، إلا أنّ ذلك لم يذكر في العنوان ولا حتى في الخلاصة، وهذا ما يوهم المتعلم بأن لا صلة بين الاستعارة والمجاز، رغم أنّ الأوّل ـ أي الاستعارة ـ هي نوع من أنواع المجاز علاقته المشابهة مطلقا .

والمتأمل للخلاصة يجدها مستنتجة على هذه الصورة :(15)

ـ بلاغة الاستعارة أبلغ من التشبيه، فهي تصوّر المعنى المراد تصويرا يجمع الرونق إلى الإيجاز في شيء من المبالغة المقبولة التي تزيد المعنى قوّة .

ـ بلاغة المجاز: فيه إيجاز ومهارة في تخيّر العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، بحيث يكون المجاز مصوّرا للمعنى المقصود خير تصوير .

ألا يرى معي القارئ أن بلاغة المجاز يمكن إسقاطها على بلاغة الاستعارة، ما دام أنّ واضع الخلاصة لم يحدد نمط العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي ؟ مع أنّ تحديدها ضروري للتمييز بين المجاز المرسل والاستعارة .

6 ـ نكاد نجزم أنّ بعض القائمين على اختيار الأمثلة والشواهد لا يميّزون بين الخبر والإنشاء رغم أنّ هذه المبادئ تعتبر من الأساسيات في الدرس البلاغي، إذ يتلقّاها المتعلّم في مراحل التدريس الأولى، ودليلنا على ذلك ما ورد في الكتاب المدرسي :(16)

تأمّل قول الشاعر :

لا تسقني ماء المـلام فإنّني صبّ قد استعذبت ماء بكائي

ثم تطرح الأسئلة على هذه الشاكلة :

ـ ما مضمون هذا الخبر ؟

ـ هل أفاد السامع ؟

ـ كيف يسمى هذا الحكم ؟

ـ ما نوع أسلوب البيت ؟ حدد صيغته .

فالشاعر يستهلّ البيت بأسلوب إنشائيّ (نهي) وهو أوّل ما يلفت انتباه المتعلّم، وحتى لو افترضنا أنّ المقصود بالخبر هو : أنني صبّ ... فهذا خبر بلاغيّ، إذ لا مجال لطرح السؤال الثاني والثالث، لأنهما يتعلّقان بالخبر العادي الذي يلقى لغرض فائدة الخبر أو لازم الفائدة .

ثم إنّ الافتقار إلى الدقة الذي نجده في تعريف الأسلوب الإنشائي يؤكّد تلك العشوائية :(17)

ـ الأسلوب الإنشائي : وله صيغ كثيرة منها الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني والتعجّب والعرض والتحضيض وأفعال المدح والذمّ، وله أغراض حقيقية، ويخرج إلى الأغراض المجازية .

فالمتأمّل للتعريف لا يجد تمييزا بين الإنشاء الطلبي من غير الطلبي، رغم أنّ " أنواع الإنشاء غير الطلبي ليست من مباحث علم المعاني "(18)، وهذا ما يجدر التذكير به في الدرس البلاغي .

كما نجد توظيفا للفظ " المجازية " في غير موضعه، وإذ أننا نؤكّد على الدقة في استعمال المصطلح حتى لا يقع المتعلّم في حيرة وتتداخل عنده المصطلحات، فلفظ (المجاز) وثيق الصلة بعلم البيان لا بعلم المعاني، إذ الأوْلى أن يقال : المعاني البلاغية المستفادة من سياق الكلام وقرائن الأحوال .

ثم نجد في مجال المعارف الفعلية يطلب من المتعلّم الآتي :(19)

ـ وظّف الأغراض التالية في جمل من إنشائك :

النصح، الإرشاد، الدعاء، التوبيخ، الاستفهام، الأمر .

والمتأمل في هذا التطبيق يدرك بما لا يدع مجالا للشك أنّ واضعه لا يكاد يستبين نوع الأسلوب من غرضه !!؟، إذ ورغم عدم الدقة في وضع السؤال حيث لا يتضح المطلوب بالجمل ؛ هل هي الخبرية أم الإنشائيّة إلا أنّنا نؤكّد على عدم

التمييز بين نوع الأسلوب : الأمر والاستفهام، والغرض : النصح والإرشاد والدعاء والتوبيخ .. وعلى ذكر النصح والإرشاد فإنّ البلاغيين يستعملون النصح مرادفا للإرشاد أو مؤكّدا له، لا أن يستعمل كغرضين بلاغيّين متمايزين كما نجد في صيغة السؤال .

7 ـ كما نلمس عدم التطابق بين العنوان مع فحوى الدرس والخلاصة المستنتجة، فالمتأمّل للعنوان التالي : " المساواة والإيجاز والإطناب " يفترض أن تكون المعالجة تغطّي المحاور الثلاث، غير أنّ الشرح ثم الخلاصة اكتفتا بالتطرّق للمساواة والإيجاز فقط، رغم أنّ المتعلّم يلتبس عليه لفظ الإطناب أكثر من غيره (20).

ـ لا ريب أنّ هذه القراءة العابرة تدفعنا إلى التأكيد على مجموعة من العوامل نراها ضروريّة لتكريس الفاعليّة والنجاعة خاصة في هذه المرحلة التعليمية :

أ ـ الاهتمام بالنص الأدبي باعتباره منطلقا في تدريس البلاغة، ويكون هذا الاهتمام بحسن الاختيار لهذا النص والدقّة فيه، وأن يكون نابضا بالحياة والجمال لفظا وأسلوبا وفكرا ومعنى .

ب ـ أن لا يكون الرابط بين النصّ الأدبي والدرس البلاغي الجانب الموضوعاتي الدلالي فقط بل يجب التركيز على اختيار شواهد تقتطع من النصّ الأدبي مباشرة.

ج ـ أن يعي المدرّس أهميّة تربية الإحساس عند المتعلّم بقيمة اللفظ وأهمّيته في تأدية المعنى المناسب بعيدا عن التعقيدات الاصطلاحيّة، إذ لا شكّ أنّ القواعد والمصطلحات البلاغيّة ضروريّة ولكنّ الذي لا شكّ فيه أنّ البلاغة شيء فطريّ وأساسيّ بصرف النظر عن لغته ومستواه، فنحن نرى في لغة الإنسان العاديّة مهما كان مستواه العلمي صورا وألوانا بلاغيّة متنوّعة : من تشبيهات واستعارات وكنايات، ومن حذف ووصل وفصل وقصر ... وغيرها، بل إنّ الطفل ذاته لا تخلو أحاديثه من ألوان كهذه، فالبلاغة أمر يرتبط بالإنسان منذ طفولته، لذلك نوجّه عناية المربّين إلى وجوب الاهتمام بتنمية الذوق الفنّي عند المتعلّم على مدى فترات الدراسة المتعاقبة، ونظنّ أنّ ذلك يتأتّى عن طريق الربط بين ما يدرس في البلاغة بما هو موجود في اللغة العاميّة (21).

د ـ نؤكّد على ضرورة التوظيف الدقيق للاصطلاحات في الدرس البلاغي، حتى لا يجد المتعلّم نفسه في حيرة بسبب التداخل والتضارب في التوظيف الاصطلاحي .

هـ - وجوب تفعيل الجانب التطبيقي من الدرس البلاغي حتى تتّسع مدارك المتعلّم ويلمّ إلماما واسعا بالمحتوى النظري للدرس، وذلك يتجسّد بالتنويع في أشكال التطبيقات واختيار النصوص المناسبة .

و - ضرورة التوازن في اختيار الدروس بين علوم البلاغة الثلاث : المعاني والبيان والبديع، أي أن لا يكون الاهتمام موجّها إلى علم دون آخر، حتى يكون أمام المتعلّم متوازنا فيأخذ من كلّ علم حظّا .

ز - إنّ البلاغة ليست قواعد جامدة بعيدة عن الفنّ ولكنها ضوابط مرتبطة بفنّ أدبيّ يرقّق الحسّ ويهذّب الوجدان ولذلك هي وثيقة الصّلة بالأدب (22)، لذلك فإنّ تكوين الذوق الأدبي للمتعلّم لن يجديَه نفعا دراسة البلاغة في ضروب من ألوان الكلام البعيد عن الصّفة الأدبيّة، وهو ما يجعل البلاغة محصورة في إطار فلسفيّ علميّ جامد، مما يتنافى مع طبيعتها الفنيّة الجماليّة .

خاتمة :

إنّ تدريس البلاغة أمر في غاية الأهميّة وفي غاية الحساسيّة ، ولذلك نؤكّد على أنّ مهمّة مدرّس البلاغة لا تنحصر في التلقين؛ فأولى بنا أن نعده مسؤولا عن تدبير المزاج الفني للمتعلّمين وإكسابهم الذوق الأدبي الرقيق، وتلك مهمة تقتضي منه الارتباط بالحياة المتجددة وإصاخة السمع لكل ما يجري حوله من موجات فنية، سواء كان مصدرها الفنون المعروفة من موسيقى ونحت وتشكيل وسينما الخ، أو كان مصدرها أنماط الحياة وطرزها، مما يؤثر في الذوق. إن العمل المنوط بمدرّس البلاغة هو الاتصال بهذه المؤثرات وإدراكها حتى يتحقق ربط الدرس البلاغي بدُنْيَا المتعلمين(23).

لا شك أن الأهمية التي يحظى بها الدرس البلاغي إنما تؤول في واقع الأمر إلى كون البلاغة فنّا في ثقافتنا " فليس الفن ترفا وكمالا في الحياة، بل هو مادة إنسانية الإنسان، وعنصر معنويته؛ وليس غير هذه الإنسانية والمعنوية يخلق الحضارة ويوجد المدنية؛ والفن القولي أمس الفنون اتصالا بهذه المعنوية والإنسانية. وكان على المعلّم أن يؤدي رسالته التي لم تعد مقتصرة على إخراج معلمين يرتزقون بتعليم اللغة وتدريس آدابها المتوارثة(24)، بل أصبح عمله يتجاوز ذلك إلى تربية وجدان أبناء المجتمع وترقية إحساسهم بالجمال؛ فلعل ذلك أن يعمل على الرفع من درجة "إنسانيتهم" .

الإحالات :

1ـ د. خديجة السايح : مناهج البحث البلاغي في النصف الأول من القرن العشرين في مصر، تقديم الأستاذ منير سلطان، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 2000، ص 192 .

2ـ نفسه، ص 193 .

3 ـ الخطيب القزويني : التلخيص في علوم البلاغة، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1989، ص 22 و23 .

4 ـ أحمد مطلوب : تيسير البلاغة، مجلّة مجمع اللغة العربية، دمشق ج 04، 1998.

5 ـ اضطلع بالتيسير البلاغي عدد وافر من المحدثين المهتمين بالدرس البلاغي ومن هذه الأصوات : التي تناولت الأفكار البلاغيّة الحديثة دفاعا عنها، وهجوما على القديم : مصطفى صادق الرافعي، وإبراهيم عبد القادر المازني، عباس محمود العقاد، وسلامة موسى، وأحمد حسن الزيات، وعبد العزيز البشري، ومحمد حسين هيكل وغيرهم (للتفصيل : خديجة السايح : مناهج البحث البلاغي في النصف الأول من القرن العشرين في مصر، ص 194)

6 ـ ينظر سعيد الأفغاني : الموجز في قواعد اللغة (المقدمة)

7 ـ بيداغوجيا الإدماج تستند بدورها على المعارف والمعارف الفعليّة والمعارف السلوكيّة التي لا يتمّ التعلّم الحقيقيّ بدونها لاكتساب كفاءة من الكفاءات في اللغة الشفويّة والكتابيّة للمتعلّم .(ينظر : وزارة التربية الوطنية : منهاج السنة الأولى من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، مارس 2005، ص 7 و8) .

8 ـ المقاربة بالكفاءات اختيار بيداغوجيّ يرمي إلى الارتقاء بالمتعلّم من منطلق أنّ هذه المقاربة تستند إلى نظام متكامل ومندمج من المعارف والخبرات والمهارات المنظمة والأداءات، والتي تتيح للمتعلم ضمن وضعيّة تعليميّة ـ تعلّميّة إنجاز وضعيّات فعليّة، وعليه، تصبح هذه المقاربة بالكفاءات وظيفيّة تجعل المتعلّم يتحكّم في مجريات الحياة ...

إنّ هذه المقاربة بالكفاءات من حيث هي تصوّر ومنهج منظّم للعمليّة التعليمية ـ التعلّميّة تستند إلى ما أقرّته النظريّات التربوية المعاصرة وبخاصة النظرية البنائية التي تنطلق من كون المعرفة تبنى ولا تلقّن، تنتج عن نشاط، تحدث في سياق، وذات دلالة بالنسبة للمتعلم .

وإنّ الفعل التربوي ـ في ضوء المقاربة بالكفاءات ـ يرتكز على خاصة الإدماج باعتبارها مسارا مركّبا يمكّن من تعبئة المكتسبات أو عناصر مرتبطة بمنظومة معيّنة في وضعيّة ذات دلالة، قصد إعادة هيكلة تعلّمات سابقة وتكييفها مع متطلّبات وضعية ما لاكتساب تعلّمات جديدة . ومن ثمّة، فإنّ الفعل التربوي المبني على بيداغوجيا الكفاءات يقود المتعلّم نحو تأسيس روابط بين مختلف المواد من ناحية، وربط هذه الخبرة بخبراته وقيمه وكفاءاته وواقع مجتمعه من جهة أخرى ... (للتفصيل ينظر : وزارة التربية الوطنية : الوثيقة المرافقة للمنهاج ـ السنة الثالثة من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2007، ص 2 و3) .

9 ـ للتفصيل ينظر : منهاج السنة الأولى من التعليم الثانوي، ص 27).

10 ـ د.خديجة السايح : مناهج البحث البلاغي في النصف الأول من القرن العشرين في مصر، تقديم الأستاذ منير سلطان، منشأة المعارف الإسكندرية، 2000، ص 105.

11 ـ نفسه .

12 ـ نفسه، ص 195 .

13 ـ وزارة التربية الوطنية : منهاج السنة الأولى من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، مارس 2005، ص 21 .

14 ـ ينظر : وزارة التربية الوطنية : الجديد في الأدب والنصوص للسنة الثانية لشعبتي الآداب والفلسفة، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2006/ 2007، ص 180

15 ـ نفسه، ص 46 .

16 ـ السابق، ص 64 .

17 ـ نفسه، ص 65 .

18 ـ علي الجارم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة،دار المعارف، مصر، ص 169.

19 ـ وزارة التربية الوطنية : الجديد في الأدب والنصوص، ص 65 .

20 ـ نفسه، ص 116 و117 .

21 ـ محمد صلاح الدين مجاور : تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية : أسسه وتطبيقاته التربوية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص 483 .

22 ـ نفسه، ص 484 .

23 ـ جمال الدين الحمروني : مناهج بلاغيّة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس ليبيا، 1998، ص 218 .

24 ـ نفسه .